قومة سيدنا الحسين السبط عليه السلام في وجه الاستبداد والظلم أبعادها ودلالاتها وآفاقها الروحية

المدرس الدكتور
المصطفى مبارك إيدوز
المملكة المغربية ـ جامعة مونديابوليس ـ الدار البيضاء
idouz@yahoo.fr
mobarakm32@yahoo.fr

قال رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحسن والحسين عليهما السلام "**وهما إمامان قاما أو قعدا**" مسند أحمد وجامع الترمذي وسنن ابن ماجة وغيرهم.

كل من تحدث عن سيدنا الحسين السبط عليه السلام، تحدث عن ثورته ضد الظلم والاستبداد. ونحن نقول إنها قومة على الظلم والاستبداد والحكم الوراثي. لأن مفهوم الثورة له حمولات مادية نفعية في غالب الأحيان، مع مشاهد الدماء والسفك والقتل. أما القومة فتكون من مبتدئها إلى منتهاها قياما لله ورسوله عليه الصلاة والسلام ودفاعا عن الشورى والعدل والإحسان.

فما هو مفهوم القومة؟

وماهي خصائص قومة أهل البيت عليهم السلام خاصة قومة الحسين؟

وماهي أبعاد هذه القومة ودلالاتها وآفاقها الروحية؟

أما إشكالية البحث فتتلخص في الكشف عن حقيقة غائبة عن كثير ممن تحدثوا عن قيام سيدنا الحسين ضد الظلم والاستبداد على أنها ثورة كباقي الثورات، ولكنها في حقيقتها قومة دفاعا عن الشورى و العدل والإحسان.

ويمكن رصد أهداف هذا البحث في النقاط الآتية:

١- الكشف عن أن قيام سيدنا الحسين على الظلم والحكم الوراثي كان قومة لله ولم يكن ثورة.

٢- الكشف عن أن ذهاب الشورى والعدل والإحسان كان على يد بني أمية.

٣- الكشف عن الآفاق الروحية العظيمة لقومة الحسين عليه السلام.

أما أهمية البحث فتتجلى في كونه سيسعى لتصويب مفهوم تاريخي وهو أن قيام سيدنا الحسين في وجه الظلم لم يكن ثورة بما تحمله الثورة من معان بل كان قومة خالصة لله.

أما المنهج المعتمد في إنجاز هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي.

وأما الخطة المقترحة فهي كالآتي:

المبحث الأول: في القومة ومعانيها ودلالاتها العميقة

المبحث الثاني: في ظلم واستبداد يزيد بن معاوية، وذهاب حكم الشورى والعدل والإحسان.

المبحث الثالث: في قومة سيدنا الحسين السبط عليه السلام، ودلالاتها العميقة

المبحث الأول

في القومة ومعانيها ودلالاتها العميقة

١ـ في معنى القومة:

جاء في لسان العرب "القيامُ: نقيض الجلوس، قام يَقُومُ قَوْماً وقِياماً وقَوْمة وقامةً، والقَوْمةُ المرة الواحد وقوله تعالى: إذ قاموا فقالوا ربُّنا ربُّ السموات والأرض؛ أي عزَموا فقالوا، قال: وقد يجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح؛.....ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات[١].

أما معنى القومة في الاصطلاح فهي الدعوة إلى الالتزام التام بالشرع، و تعفف كامل عن سفك الدماء، لكن ما الحيلة إن تجاوز خصوم الإسلام وأعداؤه حدود المعارضة الناقدة بالحق لا بالكذب، وبدأوا بالفساد، وسفكوا الدم الحرام؟[٢]

ومن معانيها أيضا أنها حركة إرادية،... فالقومة تعني تغييرا للمنكر، ولا يُغيِّر المنكرَ من لا يعرف المنكرَ في أسبابه، ودخائله، وماضيه، وحاضره، وحُماته. القومة تعني جهاداً منظما، ولا جهاد بدون تربية الأمة وتعبئتها للجهاد المرير الطويل[٣].

فالقومة هي قيام لله، لا لأجل سلطة أو حكم دنيوي، حيث كان المسلمون يكتبون في تاريخهم كلمة "ثورة" بإزاء كل خروج عن السلطان من طائفة باغية، ويستعملون كلمة "القائم" لوصف خروج أصحاب الحق الغاضبين بحق على السلطان الجائر(٤).

٢ـ في معنى الثورة:

إن كلمة "ثورة" في تاريخها العميق لها دلالات توحي بالعنف والدماء، حيث يُسمَّى اليوم ثورةً كلُّ عنف، وكل انقضاض على السلطة، وكل استبدال لوجوه بوجوه، ولشرطة بشرطة، ولعصبية بعصبية. ولا تلبث الوجوه الجديدة بعد مرحلة تصفية الخصوم أن تدخل في مرحلة التصفيات بينها. ويعود البلاء أسوأ مما كان(٥).

٣ـ القومة والثورة:

إن القومة في تجلياتها العميقة، هي قيام لله لا لهوى أو حب سلطة، وكذلك كانت قومة الحسين عليه السلام كما سنرى. أما الثورة فهي في دلالاتها العامة نشدان للسلطة والحكم، وسفك للدماء.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾(٦). وفي القرآن: ﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾(٧)، ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾(٨)، ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾(٩). المادة في القرآن كثيرة تقترن بالدعوة، والقسط وهو العدل، وتدل على القوة والإتقان، مثل ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وعلى الاستقامة، وهي بهذا اللفظ ومشتقاته كثير.

لذلك نجد أن المسلمين في العهد الأول، كانوا يميزون بين كلمة ((القائم)) وبين كلمة ((الثائر)). فيطلقون الأول على من قام بالحق ضد حكام الجور، ويطلقون كلمة ((ثائر)) عل كل مسلح يحارب السلطان. وفي الحديث النبوي كثيراً ما تقترن مادة ((ثار)) بالسلاح والاضطراب والحركة العنيفة. والثورة تغيير بالعنف للبيئة الاجتماعية، والقومة تغيير دوافع الإنسان وشخصيته وأفكاره، تغيير نفسه وعقله وسلوكه، تغيير يسبق ويصاحب التغيير السياسي الاجتماعي(١٠).

ومن هنا نرى أنه يجب أن نعيد لكلمة ((قومة)) مدلولها الإسلامي. ذلك أن ((ثورة))

تحتل اليوم على لسان كل متكلم، وفي خيال كل تواق لصرع الظالمين، مكانة محترمة. وتحمل في طيها معاني وأساليب وأهدافا ليست منا ولم تنبت في أرضنا. فنريد أن نُعَبِّر بقومة لأنها تعيد لأذهاننا تلك القداسة التي كان يتمتع بها ((القائمون)) من آل البيت، الذين حاربوا الظلم والاستبداد، إمامهم في ذلك سِبْطُ الرسول الحسين عليه السلام[١١].

٤ـ الغاية من القومة هو صلاح الآخرة.

إذا كانت غاية الثورة دنيوية مادية بحتة، فإن آخرة الفرد هو الغاية من القومة، وأن صلاحَ آخرة الفرد مرتهن بصلاح دنياه بمقتضى أن الفقر يكاد يكون كفرا وأن الظلم فتنة عن الدين. ونبني على أن صلاح دنيا الفرد مرتهن بصلاح دنيا المجتمع. ونبني على أن مرور الفرد من هذه الدنيا له مغزى ومعنى هو الابتلاء بالشر والخير، والعرض على محَكٍّ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[١٢].

٥ـ من هم رجال القوم وما هو هدفهم الأسمى؟

إن رجال القومة هم القائمون لنصرة الحق، وأهل القرآن أهلُ الله من رجال القومة والإصلاح هم سلفُنا الذي حاربوا الظلم... وانتصروا للحق.... منهم كُمَّلُ الورَثَةِ المحمديين، من جمع الله لهم بين العلم الواسع، والفقه والجهاد أمثال سيد الشهداء الحسين ابن علي وسائر أئمة آل البيت الطاهرين. ومنهم من كان قِمة في العلم والإصلاح أمثال أئمة الفقه الأربعة. ومنهم من كان جهادُه أكثر من علمه. والكل سلَفٌ لنا رحمهم الله وألحقنا بهم مسلمين[١٣].لذلك كان حكام الجور والباطل يخافون أن تلتف الأمة حول رجال القومة والإصلاح. فكان الملوكُ يضطهدون المصلحين، ويبطِشون بالأمة بطش الجبارين، ليصرفوا وجوه الناس عن الرجال. ذكر الطبري في أحداث سنة ١٢١ كيف حارب هشام بن عبد الملك أنصار الإمام زيد بن علي، ونقل كتابه إلى عامله على الكوفة يأمره بقمع القومة بين أفراد الأمة. قال له: "فادع إليك أشراف أهل المصر، وأوْعِدْهم العقوبةَ في الأبْشارِ، واستصفاءَ الأموال. فإنَّ من له عَقدٌ أو عَهد منهم سيبطئ عن زيد، ولا يَخفُّ معه إلا الرَّعَاع وأهلُ السواد ومن تُنْهِضُه الحاجة (...) فبادِرهم بالوعيد، واعْضُضْهُم بِسَوْطك، وجرد فيهم سيفك، وأخِف الأشرافَ والأوساط قبل السِّفْلَةِ"[١٤].

لقد كان هَمَّ رجال القومة في الإسلام طردُ الحاكم المستبد وفئتِه الباغية ليقوم غيرُه مقامه. كان القائمون رجالا صلحاء نهضوا لطرد قوم مفسدين. لم يكن أحدهم بحاجة لطرح برنامج أو إعلان بيان. يكفيه أن ينتقد المفسدين ويبين انحرافهم عن القرآن والسنة. وكان النهي عن المنكر الذي أنكره القائمون بالسيف هو البرنامج والخطة. فمتى انهزم المفسدون، وطهرت الأرض من رجسهم، عاد شرع الله إلى ما تعرفه الأمة.

المبحث الثاني

في ظلم واستبداد يزيد بن معاوية، وذهاب حكم الشورى والعدل والإحسان

١ـ بيعة السيف ليزيد بن معاوية

من أعظم الأخطاء في تاريخ المسلمين ما قام به معاوية من تغيير الحكم من الشورى والعدل والإحسان إلى حكم وراثي كسروي، حيث أرغم المسلمين تحت طائلة السيف على بيعة ابنه يزيدَ الفتى اللّعوبِ. وفعلها يزيد بعد أن ورث الملك عن أبيه كما يورث قطيع من النَّعَم، فقتل حسينا، واستباح جنده المدينة ثلاثة أيام لما قام عليه علماؤها من الصحابة، قتل منهم أكثر من ثلاثمائة، وأكثر من عشرة آلاف من المسلمين، وحَبَلت ألْف امرأة من سطو العساكر الأموية، ويتناقل الإخباريون آراء للأئمة ترفع معاوية إلى عَنان السماء، كأن مناشدة النبي ﷺ في الصحابة براءة لجميعهم من الخطإ والعيب(١٥).

وعلى رغم من بطش معاوية وتهديداته، لم تصف له الساحة، فقد أبى أن يبايعه أربعة نفَرٍ كانوا هُمْ خيارَ المؤمنين يومئذ: الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عُمر، وعبد الرحمان بنُ أبي بكر. جاءهم معاوية إلى المدينة يطلب إليهم مبايعته، فأغلظ لهم القول وهددهم، فخرجوا إلى مكة، فلحقهم وراوَدهُم على البيعة مُتلطّفا متحبّباً(١٦).

واستمر معاوية في تهديده ووعيده، ومن ثم شرط عليه الذين رفضوا بيعة ابنه يزيد أن يجعل الأمر شورى بين المسلمين. لكن معاوية قام خطيبا بين الناس، بعد أن أمر رئيس حرسه قائلا: "أقِم على رأس كل رجل من هؤلاء [الأربعة المعارضين] رجلين، ومع كل واحد منهما سيف. فإن ذهب رجل منهم يرُدّ علي كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بالسيف".

السيوف مُنْتَضَاةٌ على الأربعة الرؤوسِ، ومعاوية يَخطبُ الناس ويقول مُهَدداً مُرْعِداً: "إنه من أعْذر فقد أنْذَر! كنتُ أخطبُ فيكم فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح. وإني قائم بمقالة، فأقسم بالله لئن رَدّ عليّ أحدُكم كلمةً في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيفُ إلى رأسه. فلا يُبْقِيَنّ رجلٌ إلا على نفسه"(١٧).

كانت بيعة يزيد النموذجَ الأولَ لتحريف نظام الحكم في الإسلام وتحويله إلى كسروية. وقد تريث معاوية واستشار دهاته ودبر أمره بإحكام. وأخذ البيعة لابنه يزيد في العراق والشام وأطراف البلاد، حتى لم يبق له إلا كُبراء مكة والمدينة، وفيهما كان بقية الصحابة وأبناء المهاجرين والأنصار.

فتوجه بنفسه إلى الحجاز، واستدعى إليه الأربعةَ المحترمين من علماء الأمة المسموعي الكلمة: الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر. لقيهم خارج المدينة وأغلظ لهم القول. وتلك أساليب يحسنها الملوك الغاصبون لتخويف ذوي الرأي وإرهابهم.

ثم استدعاهم خارج مكة وألان لهم القول وأحسن معاملتهم. ثم خاطبهم فُرادى ولاطفهم ليبايعوا يزيدا. قال له عبد الله بن الزبير: ((نخيرك بين ثلاث خصال: تصنع ما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ لم يستخلف أحدا، فارتضى الناس أبا بكر. أو تصنع كما صنع أبو بكر، فإنه عهِد إلى رجل من قاصية قريش، ليس من بني أبيه، فاستخلفه. أو تصنع كما صنع عمر، جعل الأمر شورى في ستة نفر، ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه)). ثم سأل الآخرين فقالوا: قولنا قول عبد الله.

ثم دخل المسجد وأدخل الأربعة الكُبراء أمام الناس، وصعِد المنبر فقال: ((إن هؤلاء الرهْطَ سادةُ المسلمين وخيارُهم، لا يُبتَر أمر دونهم، ولا يُقضى إلا عن مشورتهم. وإنهم قد رَضُوا وبايعوا ليزيد. فبايِعوا على اسم الله))(١٨).

فلما رأى الناس سادة المسلمين سكوتا قاموا فبايعوا. لم يعلم المسلمون أن أولي الرأي والحرمة فيهم قد تعاورَهم الترهيب والترغيب، ورُصِد السيفُ على رؤوسهم.

أما سيدنا الحسين عليه السلام فقد قال له بكل صراحة: "... إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن

الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المَحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله..."[١٩].

وقال عليه السلام "يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية"[٢٠].

٢ـ تحريف نظام الحكم في الإسلام وتحويله إلى كسروية.

وهكذا تمت أول بيعة نقلت الحكم من الخلافة إلى الملك، ومن الشورى والاختيار إلى القسر والإرغام، ومن تعامل الصادقين بصدقهم إلى تحايل الدهاة وتحاملهم. دارت رحا الإسلام دورتها ليختفي أهل العلم والتقوى لأزمنة طويلة.... والله غالب على أمره[٢١].

٣ـ ملك يزيد الماجن العربيد السفيه.

ولِيَ بعد معاوية ابنه يزيدُ فملك قُرابة ثلاثِ سنوات قام فيها بأعمال ثلاثة خالدة في سجل البغي الملكي العاض. في السنة الأولى قتل حسينا رضي الله عنه، وفي كربلاء طعنوا الجسد الشريف بالرماح، وضربوه بالسيوف، ورفسوا جثمان الشهيد تحت أرجل الخيل، وقتلوا نيفا وسبعين رجلا من آل البيت وشيعتهم، وساقوا نسوة آل البيت وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا إلى البلاط اليزيدي.

في السنة الثانية من ملك يزيد الماجن العربيد السفيه قام علماء المدينة وقُراؤها على حكم البغي. فدهمتهم جنود البغي. قتلوا سبعة آلاف من أشراف المسلمين، واستباحوا المدينة ثلاثة أيام حتى حبلَت ألف امرأة من فعل جيش يزيد .في السنة الثالثة من ملك يزيد هجم جيش يزيد على القائم بمكة عبد الله بن الزبير فضربوا الكعبة بالمنجنيق وأسالوا الدم الحرام في البيت الحرام[٢٢].

٤ـ أقوال العلماء في سفاهة يزيد بن معاوية.

ذكر عدد من العلماء أقوالا تبرز فسق يزيد وظلمه حيث قال فيه الذهَبيُّ: "كان ناصبيا فظا غليظا، يتناول المسكر، ويفعل المنكر. افتتح دولته بقتل الحسين". وقال رجل في حضرة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز: "أمير المؤمنين يزيد. فضربه عمرُ عشرين سوطا. واستُفْتي في شأنه إلْكيا الهراسي، وهو شيخ المهدي بن تومرت، فذكر فصلا واسعا من مخازيه حتى

نفدت الورقة، ثم قال: "لو مُدِدْتُ ببياض لـمَدَدْتُ العِنَانَ في مخازي هذا الرجل"(٢٣).

وقال اليافعي "وأمّا حكم من قتل الحسين أو أمر بقتله ممّن استحلّ ذلك فهو كافر"(٢٤).

وقال التفتازاني في (شرح العقائد النفسيّة) "والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين، واستبشاره بذلك، وإهانته أهل بيت الرسول ممّا تواتر معناه، لعنة الله عليه، وعلى أنصاره وأعوانه"(٢٥).

وقال ابن كثير: "إن يزيدا كان اماماً فاسقاً ..."(٢٦).

وقال المسعودي: "ولّما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمّهم ظلمه وما ظهر من فسقه ومن قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأنصاره وما أظهر من شرب الخمر، سيرته سيرة فرعون، بل كان فرعون أعدل منه في رعيّته، وأنصف منه لخاصّته وعامّته أخرج أهل المدينة عامله عليهم، وهو عثمان بن محمّد بن أبي سفيان"(٢٧).

وروي أنّ عبد الله بن حنظلة الغسيل قال: "والله ما خرجنا على يزيد، حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنّه رجل ينكح امّهات الأولاد والبنات والاخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة"(٢٨).

٥ـ أفعال يزيد المشؤومة على الأمة.

- **قتل الحسين عليه السلام عنه والعبث برأسه**

إن قتل الحسين رضي الله عنه والعبث برأسه بعد دَوْسِ جثته تحت سنابك الخيل كان رفْساً لرَمزِ الإسلام، واستهانةً بمقدساته. كانت أمَّ الهلَكات، إذ وطِئ الغلمان السفهاء تحت الأقدام حرمةَ النبوءة(٢٩).

- **قتل علماء المدينة وأشرافها:**

لما قامَ عليه علماء المدينة وأشرافها، بعث يزيد إليهم جيشاً لَجِباً. قتلوا سبعة آلافٍ من أشراف الناس، منهم ثلاثمائة صحابي، وقتلوا عشرة آلافٍ من عامة المسلمين.

وإمعاناً في الجُرْأة على الله، أمر يزيد جيشه إذا دخلوا المدينة أن يستبيحوها ثلاثا. شريعة الله تقول: ((المسلم على المسلم حرامٌ. دمُه ومالُه وعِرْضه)). والفاسق العِربيد أمر

أن تُستباح ثلاثة أيام أموال المسلمين ودماؤهم وأعراضهم. وهكذا حَبَلت ألْف امرأةٍ من اغتصاب الجيش الهمجيّ الفاتك.

وثالثةُ الموبقاتِ التي رصّع بها يزيد عهده القصير في السلطة (فإنه هلَك بعد ثلاث سنوات)، القذرِ في الجرائم، هي غزوُه الكعبةَ المشرفة البَلدَ الحَرَام في شهر حرام. أمر قائد جيشه أن يرميها بحجارة المنجنيق، وكان عبد الله بن الزبير تحصن في المسجد الحرام. وعالج صبيان بني أميّةَ ما بقي من حُرَم المسلمين بالمذهبية التي علّمها شيخ بني أميّة معاوية: السيف[٣٠].

قال الإمام السبط عليه السلام موجها كلمة للعلماء: "أمّا بعد، فقد علمتم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: مَن رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثمّ لم يغيّر [عليه] بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله"[٣١].

وردا على البغي والظلم جاءت قومة الإمام الحسين، لتعبر عن ضمير الأمة الذي رفض مُلْكَ يزيد. وليس كونُ الإمام الحسين من تلك الأرومَةِ النبوية الطيبة هو وحدَه الذي هزَّ مشاعر علمائنا فلعنوا يزيدا. لكنَّ أفعال يزيد، وسوء تدبيره، وبطشه بالمسلمين، سوَّدَت في أعينهم خيالَ الملك العاض. فقد نبذَ علماء المدينة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم بيعته، فسلط عليهم مُسلِمَ بن عقبة، فاستباحها، وقتل منهم أكثر من ثلاثمائة رجل، وحملتْ نساء المدينة ألْفَ جنين. إن جرائم بني أمية لا تكاد تُحصي.

وبسبب ضياع ميراث النبوة ستقوم قومة سيدنا الحسين عليه السلام. فما هي أبعاد هذه القومة؟ وماهي تجلياتها العميقة؟

المبحث الثالث

في قومة سيدنا الحسين السبط عليه السلام، ودلالاتها العميقة

١ـ قومة آل البيت كانت من أجل الحق لا من أجل السلطة.

تاريخ الشيعة كله تاريخ معارضة للحكم الجائر المتعسف، والقائمون من آل البيت منذ قومة الحسين رضي الله عنه وقومة حفيده زيد بن علي كانوا دعاة للحق يقاتلون الباطل.

ونجد تأييدا مستمرا لقومات آل البيت من لدى علماء الأمة على مر العصور، ونجد حتى من الملوك والخلفاء من يعذبه الضمير فينهض لنصرة آل البيت(٣٢).

تألفت على مر تاريخنا جماعات تطالب بالحكم، منها ما كان عملها شرعيا سماه علماؤنا قومة (القائم من آل البيت)، ومنها ما كان عصبية وإرادة تسلط على الحكم لإبدال طاغوت بطاغوت سماه علماؤنا ثورة.

لكن جمهور الأمة وقاعدتها عاشت على ذهنية خاملة. على ذهنية أنها رعية ترعى دون حق لها في الاعتراض، وأن الحكم المنتصب شرعي مهما كانت جرائمه(٣٣).

فقد كان علماؤنا يسمون جند الله الناهضين في وجه الظلمة قائمين. عرف تاريخنا قائمين من آل البيت كالإمام الحسين بن علي، وزيد، ومحمد النفس الزكية، ويحيى، وإبراهيم(٣٤).

٢ـ القومة الربانية لسيدنا الحسين عليه السلام كانت من أجل إحياء ميراث النبوة لا من أجل الحكم

قال الحسين عليه السلام: "أمرني رسول الله بأمر وأنا ماضٍ له"(٣٥).

فلا نشك لحظة أن الحسين بن علي رضي الله عنهما حين غضب غضبته وقام قومته إنما فعل لاعتقاده أن يزيد فسق عن أمر الله، وقاد بغير القرآن وأضاع الصلاة، إن كان غيره قدر غير ذلك ورجح الطاعة فلا يعدو أن يكون مجتهدا. وإن سترت أجيال من علماء السنة كارثة قتل الحسين، أو أدانتها على استحياء، فما يهون من فداحة إخلالهم ذاك في أعيننا إلا وجود تلك النصوص الثابتة الكثيرة الداعية للحفاظ على الوحدة، تأولوا في ظلها سلوك يزيد وأمثاله، وسكتوا عن الذل والإذلال وهم يسمعون بني مروان ويرونهم يصفون السيف دواء لأمراض الأمة، وضرب الرقاب شفاء، ويطبقون(٣٦).

أما سيدنا الحسين عليه السلام فقال قولته المدوية:" ألا وإنَّ الدَّعيَّ ابن الدَّعيَّ قد تركني بين السلّة والذلّة، وهيهات له ذلك! هيهات منّي الذلة! أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طهرت، وحجور طابت أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام..."(٣٧).

واجه الإمام الحسين رضي الله عنه وقاتل، واجه زيد بن على وقاتل، واجه محمد

النفس الزكية وإدريس أخوه وإبراهيم ويحيى من بعده وقاتلوا. كان هؤلاء جميعا من آل البيت، وكان لأئمة المسلمين أبي حنيفة ومالك والشافعي رضي الله عنهم ميل، بل مساندة فعلية لهؤلاء القائمين(٣٨).

إن قاوم الأئمة العظام، مثل الحسين ومحمد رضي الله عنهما، الحكم الهرقليّ فإنّما عالجوا وجها واحداً من وجوه الفتنة. عانَوْا وحاولوا معالجةً. عانوا من فساد الحكم وحاولوا معالجة السيف وفعل السيف بالسيف وفعل السيف. سيف الهرقلية انتزع بيعاتٍ وقطف رؤوسا، وأسكت كلمة الحق. وسيف الأئمة القائمين بالحق حاولَ إحقاق الحقّ بحماية الناس من جبروت الإكراه والكذب والنفاق(٣٩).

قال الحسين عليه السلام: "... خُطّ الموت على ولد أدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف...". ثم قال: "... مَن كان فينا باذلاً مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا؛ فإنّي راحل مصبحاً إنشاء الله"(٤٠).

٣ـ الحسين عليه السلام القائد الرباني، رمز الجهاد في كل الأمة المسلمة:

هناك العديد من الناس يقعون في خطأ، حين يحصرون قومة الحسين عليه السلام بتاريخ معين، أو يغضّون البصر عنها؛ لأنها ـ حسب تصوراتهم ـ تخصّ طائفة معينة.

إنّ قومة الحسين عليه السلام واستشهاده في كربلاء تخص كلّ العرب، وكلّ المسلمين، والإنسان المدافع عن الحق، والرافض للظلم مهما كانت عقيدته ومذهبه وقوميّته.

إنّ قومة الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام تمثّل نموذجاً فريداً سيظل حيّاً إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، أمّا في الآخرة فقد أخذ البشرى من جدّه الأعظم بأنه سيد شباب أهل الجنة مع أخيه الحسن عليه السلام.

إن الحسين عليه السلام جسّد رفض الخلافة بالغلبة، ومبدأ توريث الحكم للأبناء بمفهوم عصرنا. لقد رأى أنّ في الأُمّة مَن هو أصلح من يزيد بن معاوية لإدارة شؤون الأُمّة.

إن كان من أحد يستحق قيادة الأمة في ذلك الزمان، فليس هناك من هو أفضل من سيدنا الحسين عليه السلام، لأنه جمع صفات القيادة الربانية الحكيمة، فهو عليه السلام يمثل "الشخصية الإيمانية القوية في ذات الله، اللوامة للنفس في جنب الله ليست شخصية متجهّمَة غضبية".

فهو عليه السلام" الشخصية الإيمانية الإحسانية، (التي تكون) حزينة لله على نفسها، باكية تائبةٌ راجعةٌ على الدوام إلى التفكر... وتخالق الناس بالخلق الحسن، وتلقاهم بالبشاشة الدائمة... شخصية عادلة معتدلة يتألف من تعددها وتحزبها لله وتربيتها جسم مجاهد يجمع بين مقتضيات الدعوة والدولة وبين باعث القرآن ووازع السلطان"(٤١).

قال عليه السلام "لا يأمن يوم القيامة إلاّ مَنْ خاف من الله في الدنيا"(٤٢).

لقد كتب الإمام عليه السلام قبل خروجه من المدينة عدّة وصايا، منها: وصية لأخيه هذا نصّها: "هذا ما أوصى به الحسين بن عليّ إلي أخيه محمّد بن الحنفيّة، أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عنده، وأنّ الجّنة حق والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَنْ في القبور، وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في اُمّة جدّي؛ اُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب، فمَنْ قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومَنْ ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين"(٤٣).

وقال عليه السلام عن آثار العبادة الحقيقية: "مَنْ عَبَدَ الله حقَّ عبادته آتاه الله فوق أمانيه وكفايته"(٤٤).

لقد كان الحسين عليه السلام شخصية ربانية على منهاج جده المصطفى عليه السلام.

٤ـ ما هي الدلالات العميقة لقومة الإمام الحسين عليه السلام.

أفصح الإمام عليه السلام عن الصّفات التي يجب أن يتحلّى بها الحاكم بقوله: "فلعمري، ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحقّ، والحابس نفسه على ذات الله"(٤٥).

ما من شك أن لقومة الحسين عليه السلام دلالات عميقة تخالف ما عرف عند عامة من ثاروا ضد حكم العض والجبر، ويمكن إجمال هذه الدلالات العميقة فيما يلي:

- الاعتزاز بالله، ورفض الذل والمهانة والقيام من أجل الله لا من أجل الحكم وقد عبر الإمام الحسين عليه السلام عن هذا المبدأ بقوله:" هيهات منا الذلة".

- عدم الخضوع للظالمين، قال عنها الإمام الحسين عليه السلام": يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين.. فكونوا أحراراً في دنياكم"
- عدم مهابة الموت، لأنها نهاية في الدنيا وبداية الحياة الخالدة في الآخرة، يقول سيدنا الحسين عليه السلام: "فإني لا أرى الموت إلا سعادة"
- القيام لنصرة الحق وطرد الباطل، وفي ذلك يقول عليه السلام: "ألا ترون إلى الحق لا يعمل به والباطل لا يُتناهى عنه؟ !ليرغب المؤمن في لقاء الله حقاً.. حقاً.."
- القيام من أجل الله، لا من أجل الدنيا، "ألا وإني لم اخرج أشراً ولا بطراً، ولكن خرجت لطلب الصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر"
- تحريض كل آل البيت للقيام من أجل الحق والإصلاح، رجالا ونساء.
- كانت قومة الحسين عليه السلام مثالا عظيما في الوفاء والإباء والتضحية والفداء.
- قومة الحسين المثال الأعظم للقومة الخالصة لله لا طلباً للحكم.
- قومة الحسين عليه السلام مثالا متميزا في البذل والفداء في سبيل الحق ورفع الظلم عن المظلومين.
- قومة الحسين عليه السلام مثالا للدفاع عن المستضعفين والمضطهدين.
- قومة الحسين عليه السلام رمز للبطولة والإنسانية.
- قومة الحسين عليه السلام فداء لكتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام.
- قومة الحسين عليه السلام رمز لكل قائم لله في سبيل الحق وهي بذلك سوف تعيش في ضمير الإنسان ووجدانه ما بقي هذا الإنسان.
- قومة الحسين عليه السلام رمز للجهاد الحق في سبيل الله، هذا الباب الذي كان الطغاة وعملاؤهم يحاولون غلقه أمام الناس.
- قومة الحسين عليه السلام رمز لأخلاق المجاهد السامية
- قومة الحسين عليه السلام ليس حكراً على طائفة، بل هي لكل أمة محمد عليه الصلاة والسلام.
- قومة الحسين عليه السلام تحمل شعار "أن المبادئ فوق كل الاعتبارات."

- قومة الحسين عليه السلام انتصار للحرية، بالدم والشهادة.

- قومة الحسين عليه السلام، دليل كل الحركات الصادقة التي تنشد التغيير.

هوامش البحث

(١) ابن منظور، لسان العرب

(٢)عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي ٤٣٤

(٣)عبد السلام ياسين، رجال القومة والاصلاح ٢٦

(٤)عبد السلام ياسين،سنة الله ٢٩٠

(٥)عبد السلام ياسين،رجال القومة والإصلاح ٣١/٣٠

(٦).الجن، :١٩

(٧)النساء، ١٢٧

(٨)المائدة٨،

(٩)النساء، ١٣٥

(١٠)عبد السلام ياسين،رجال القومة والإصلاح٧

(١١)عبد السلام ياسين،رجال القومة ٥

(١٢).سورة الملك، الآية ٢

(١٣)عبد السلام ياسين، رجال القومة٤٥

(١٤)عبد السلام ياسين،رجال القومة٤٦

(١٥)عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات ٢٣..٢٢/٢

(١٦)عبد السلام ياسين،الشورى والديمقراطية ٢٤٧/٢٤٦

(١٧).هكذا روى المشهدَ ابن الأثير رحمه الله

(١٨)ابن الأثير الكامل ص٩٧

(١٩).بحار الأنوار ٤٥ /٨٣

(٢٠)المصدر السابق ٣٢٩/٤٤

(٢١)عبد السلام ياسين،العدل ٩٢

(٢٢)عبد السلام ياسين،العدل ٨٥

(٢٣)ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ١/ ٦٨

(٢٤)ابن العماد الحنبلي شذرات من ذهب : ١ / ٦٨،
(٢٥) المصدر السابق
(٢٦)ابن كثير، البداية والنهاية ٨ / ٢٢٣
(٢٧) المسعودي،مروج الذهب : ٣ / ٨٢
(٢٨) ابن الأثير الكامل : ٣ / ٣١٠ والسيوطي، تاريخ الخلفاء:١٦٥
(٢٩)عبد السلام ياسين،الشورى الديمقراطية ٢٥٦
(٣٠) عبد السلام ياسين، الشورى والديمقراطية٢٥٦/٢٥٧
(٣١) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ١ /١٨٤
(٣٢) عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة العدد الرابع ٣٨
(٣٣) عبد السلام ياسين،المنهاج النبوي٤١٣
(٣٤) عبد السلام ياسين،المنهاج النبوي ١٣
(٣٥) ابن كثير، البداية والنهاية ٨ /١٦٧
(٣٦) عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ ٤٠
(٣٧) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار ٤٥ /٨٣
(٣٨) عبد السلام ياسين،نظرات في الفقه والتاريخ ٣٢
(٣٩) عبد السلام ياسين،الشورى و الديمقراطية ٢٦٦
(٤٠) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ٤٤ / ٣٦٦ -٣٦٧
(٤١) عبد السلام ياسين، كتاب الإحسان ١٣١٦/-٣١٧
(٤٢) المصدر السابق٤٤/١٩٠
(٤٣) المقرّم مقتل الحسين ـ ١٥٦
(٤٤) بحار الأنوار ٧١ /١٨٤
(٤٥) أبو جعفر الطبري تاريخ الأمم والملوك٦ /١٩٧

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبي الفلاح (ت:١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، نشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- ابن منظور، لسان العرب: أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، المصري (٧١١هـ). (ط. دار صادر، بيروت - لبنان)

- ابن كثير البداية والنهاية: أبو الفداء، ابن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) (ط الأولى ١٩٦٦ مكتبة المعارف - بيروت، مكتبة النصر – الرياض

- أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري). (ط. ليدن، و ط. دار المعارف بمصر، و ط. الاستقامة).

- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: المولى محمد باقر المجلسي: (١١١٠ هـ). (ط مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، سنة ١٤٠٣ هـ، وطبع حجري).

- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (ت:٩١١هـ)، تحقيق: حمدي الدمرداش، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، دار الرجاء للطباعة، مصر.

- المقرم، مقتل الحسين: عبد الرزاق الموسوي (ت ١٣٩١ ه - ١٩٧١ م). (ط ٤ مطبعة الآداب، النجف - العراق. نشر قسم الدراسات الإسلامية، طهران - إيران)

- ياسين، عبد السلام، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، الشركة العربية للنشر والتوزيع،ط١،١٩٨٩

-ياسين عبد السلام، نظرات في الفقه والتاريخ، دار الخطابي للطباعة والنشر - الدار البيضاء ١٩٨٩

- ياسين، عبد السلام، تنوير المؤمنات، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء،المغرب،ط١، ١٩٩٦

- ياسين، عبد السلام، الشورى والديمقراطية، مطبوعات الأفق، المغرب،ط١، ١٩٩٦

-ياسين، عبد السلام، الإحسان، مطبوعات الأفق - الدار البيضاء١٩٩٨

- ياسين، عبد السلام، العدل، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، المغرب،ط١،٢٠٠٠

-ياسين عبد السلام، رجال القومة والإصلاح، منشورات الصفاء للإنتاج٢٠٠١

المجلات:

- ياسين عبد السلام، مجلة الجماعة العدد الرابع ٣٨.